مركز الدراسات المعرفية
موسم فقه الأمة والجماعة

محاضرة الخطاب الجماعي في الشريعة الإسلامية

الثلاثاء الموافق ١٣/ ٤/ ٢٠١٠م
بقاعة رواق المعرفة
يلقيها أ.د. مصطفى رجب
تقديم أ.د. رفعت العوضي

أ.د. مصطفى رجب
أستاذ التربية الإسلامية
ورئيس قسم أصول التربية
كلية التربية – جامعة سوهاج
Mostafaragab2@gmail.com

لكل مجتمع عادات وتقاليد حسنة أو سيئة تتحكم به، وقد لا يرى أفضل منهـــا وأكمـــل عملاً بالفكرة القائلة :"ليس بالإمكان أبدع مما كان" حتى ولو كان ما هو كائن بالفعـــل جهـــلاً ورقًا ومرضًا وفقرًا، ويحتم بالمجتمع على كل فرد من أفراده أن يخـــضع لتقاليـــد وعاداتـــه،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعتبره مسئولاً أمامه عنها.. وتسمى هذه المسؤولية اجتماعية، وإذا اقتنع بها الفرد ورضي عنها تصبح أخلاقية واجتماعية في آن واحد.

والإسلام يقر ويبارك كل ما يرتضيه الناس لأنفسهم بشرط أن لا يحلل حرامًا أو يحرم حلالاً.

وكما تقع المسؤولية على الفرد -في نظر الجماعة إذا تمرد على عاداتها- أيضًا تقع المسؤولية على عاتق الجماعة، إذا هي سكتت عن الشر، وأغضت على الفساد، فإن جهاد المعتدين والمجرمين واجب اجتماعي وشرعي وعقلي تمامًا كالوقاية ضد الأوباء والكوارث الطبيعية.

قال تعالى : {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ} (البقرة/١٩٣) {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} (المائدة/٢).

المسئولية الاجتماعية في الدنيا هي نتيجة لازمة لعلاقة المسئولية الأخرى وتتطابق معها وهي الحلقة التي تربط بين مواقف الإنسان في الدنيا وفي الآخرة وتجعلهما طورين متعاقبين من الابتلاء والجزاء.

وللمسؤولية الاجتماعية دوائر وميادين بعضها أكبر من بعض، وهي تبدأ بالفرد وتنتهي بالإنسانية كما يلي:

١-مسئولية الفرد عن نفسه وعن ما منحه الله من قدرات عقلية وسمعية وجسدية و... ليستعملها فيما خلقت له طبقًا لأوامر الله ونواهيها.

٢-مسئولية الفرد عن أسرته وتشمل مسئولية الوالد عن الأبناء والبنات ومسئولية الولد عن الوالدين، ومسئولية الزوجين كل عن الآخر.

٣-مسئولية الأرحام بعضهم عن بعض.

٤-مسئولية الفرد عن الأمة، ومسئولية الأمة عن الفرد فيما يزيد في تقدم الأمة ويحفظ مقدراتها وأمتها.

٥-مسئولية الجيل عن الأجيال اللاحقة في إعدادها لمتطلبات حياتها عقائديًا واجتماعيًا واقتصاديًا وكل ما يساعدها على عبور مستقبلها بنجاح.

٦-مسئولية الأمة عن الأمم.

٧-مسئولية الإنسان عن المخلوقات باعتباره خليفة الله في أرضه.

ويعبر عن مثل هذه النوعية من المسؤولية بالتكافل الاجتماعي.

وتشرف عليه الهيئات التي ينشئها المجتمع لحماية القوانين الوضعية للأمة وتطبيق ما تقرره. وينتظم هذا القسم جميع المسؤوليات المنحدرة من الدستور وقانون العقوبات والقوانين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المدنية والتجارية، والمالية والبحرية، والإدارية، والمدرسية والدولية الخاصة والعامة... كما ينتظم جميع أنواع الجزاء المترتبة على هذه المسؤوليات، سواء أكانت عقابًا أم مثوبة.

نجد نصوصًا تقرر المسؤولية الفرد عن سلوك غيره ومن هذه النصوص قال تعالى: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (الأنفال/٢٥) وبعد أن تلى الرسول قوله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} .(المائدة/٧٨).

فالمهمة الأولى أمام العلماء المسلمين هي إتقان لغات الشعوب المسلمة – غير العربية - كلها، وتحديد الأهداف الشرعية و التعليمية والاجتماعية والاقتصادية للأمة، ووضع خطة لتطوير المؤسسات والمناهج التي سوف تساعد على التوصل لتلك الأهداف للأجيال القادمة.

وأساس المسؤولية الاجتماعية هو تبادل الولاية بين أفراد المجتمع، بحيث يكون كل واحد من الأمة – أينما كان موقعه - وليًا لجماعة أو لمجموعة من أفرادها حسبما تتيح له سلطته وقدراته، ودوره الاجتماعي ..

وذلك وفق آية {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (التوبة/٧١)

والولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل وتقوم هذه الولاية على ثلاث دعائم هي :

الأولى: حب الناس.

الثانية: التعاون بينهم.

الثالثة: التناصح.

ويري المفكرون المسلمون أن الإنسان ولد على الفطرة، ولديه الاستعداد لاكتساب كل من الخير والشر، فالتربية التي ينشأ عليها الفرد تُكوِّن ثقافته السائدة، وهي نابعة من التشريعات السماوية، والإسلام جاء بنظرة كلية كاملة شاملة لماهية الطبيعة البشرية، فالإنسان مخلوق عزيز مكرم، والغاية من وجوده، غاية نبيلة وسامية تتمثل في إخلاص العبودية لله، قال تعالي {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (االذاريات/٥٦) كما أن نظرة الإسلام إلى الإنسان نظرة تتكامل فيها كونه جسما وعقلا معاً والعقل هو أساس تكوين الضمير الذي يدفع الإنسان إلى الخير ويبعده عن الشر ولابد من أن يوازن الإنسان بين مطالب الدين والدنيا، قال تعالي: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} (القصص/٧٧)، ومصدر القيم في الإسلام يتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلي به من الفضائل وأن يتخلي عن الرذائل، وهى قيم عملية تتعلق بما يصدر عن المكلف من أعمال وأقوال وتصرفات وهى على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نوعين المعاملات والعبادات ، وجدير بالذكر أن القيم الإسلامية قد صاغها خالق الإنسان والكون والحياة، وفق مجموعة من الخصائص التي من أهمها مناسبتها وملاءمتها لخصائص الطبيعة البشرية، ومن ثم فهي تتصف بالإنسانية والاجتماعية والواقعية، وأنها ليست قيما مجردة، بعيدة عن الواقع والممارسة ، حيث تهدف التربية الإسلامية إلى بناء مجتمع تسوده مجموعة من القيم والمثل العليا والأخلاق الفاضلة، التي حددها الشرع، والتي تحرص – أول ما تحرص – على تنشئة إنسان ذي سلوك أخلاقي فاضل، وفقاً لمجموعة من القيم والمبادئ التي يتضمنها هذا الدين .

وحينما جاء الدين الإسلامي، أشاع بين جنبات الأرض قيماً جديدة، وأخذ يدعو إلى اعتناق هذه القيم، عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة، وصدق الله العظيم إذ يقول **{**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**}** (النحل /١٢٥) فالقيم الإسلامية كالجوهرة، صالحة لكل زمان ومكان، وعلى التربية الإسلامية أن تنفض عنها غبار الأوهام والخرافات، وتقدمها ناصعة، وألا تدعو إلى هذه القيم بالمحاكاة والتقليد، وإنما تحاول التربية الإسلامية أن تفتح العقول التي استحكم إغلاقها، واستنامت إلى تفكير الغير وتقليده وفى هذا الشأن يقول سبحانه **{**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**}**، كما يقول سبحانه وتعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام **{**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**}** (الأنبياء/٥٢-٥٤)

ويعد القرآن الكريم الدستور الذي يستند إليه في اشتقاق القيم، وفى نفس الوقت تمتلئ السنة النبوية بالعديد من القيم على شتى أنواعها لتقوم بتزويد المجتمع بما يحتاج إليه .

فالقيم الإسلامية ثابتة ومرنة في آن واحد، فهي كتصورات ثابتة ثبات التصور الإسلامي، ولكنها تركت الحرية للمجتمع لاختيار الممارسات والأفعال حتى يمكن أن تترجم هذه التصورات إلى واقع عملي، ومن ثم يبدو للقيمة مظهران القيمة كجوهر والقيمة كسلوك، يمتاز الأول بالثبات والثاني بالتغير، والإسلام غنى بالجوانب المادية وغير المادية، فهو يحوى مختلف أنواع القيم الروحية والخلقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والجمالية والعلمية، وعلى سبيل المثال فإن الإسلام يحث على غرس قيم الأمانة والصدق والطاعة، لأنها قيم مرغوب فيها،كذلك يحارب الإسلام بعض العادات السلوكية غير المرغوبة، مثل الكذب والنفاق وغيرها، لأنها سلوكيات تهدم بنيان المجتمع، ومن هنا يتضح مدى اتساع نظرة الإسلام للقيم ومدى تكامل هذه النظرة لتشمل الإنسان في كل زمان ومكان، مما يمكن القول معه أن القيم الإسلامية قيم سماوية شرعها الله سبحانه وتعالى وأرسى دعائمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ثم لا بد أن يجد فيها المسلم أمنه وأمانه وسلامته من كل شيء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطاب الجمعي في القرآن الكريم :

أكثر آيات القرآن الكريم تُخاطب الأمة في مجموعها، كما قال الله تعالى :

"لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً " سورة النساء آية ١١٤

فالخطاب الجمعي هنا يشجع على بذل جهد فردي : بدني سواء أكان أمراً بصدقة أو أمراً بمعروف أوسعيا بالإصلاح بين الناس: وهذا كله عمل تطوعي بدني يعود بالخير على المجموع .

وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البين} رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح ولا شك في أن منزلة الصيام والصلاة عظيمة فهما ركنان من أركان الإسلام، ولعل المراد هنا بالصلاة (التي إصلاح ذات البين خير منها) صلاة النوافل وليس الفرائض ولكنهما عمل مقصور أجره وثوابه على صاحبه، أما إصلاح ذات البين:فنفعه متعد إلى الآخرين وقاعدة الشريعة: أن النفع المتعدي أولى من النفع القاصر . فالمعنى المقصود في الحديث الشريف : أن من يقضي وقته بإصلاح ذات البين أفضل ممن يشغل وقته بنوافل الصيام والصلاة.

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية ببيان صور كثيرة من صور العمل الجمعي التطوعي ففرق علماء الإسلام وفقهاؤه بين عقود المعاوضات :كالبيع والشراء والإجارة والمساقاة والمزارعة والشركات وبين عقود الإرفاقات :كالهبة والعطية والوصية والحوالة وغير ذلك .

كما أن علماء الإسلام الأفذاذ من محدثين وفقهاء أفردوا أبواباً في كتب الحديث والفقه لبيان الأحكام التفصيلية لكثير من الأعمال ذات الطابع الجمعي:

١. فقد خصصوا باباً لبيان أحكام الكفالة : وهي عمل اجتماعي /تطوعي يتضمن : التزام شخص رشيد إحضار من عليه حق إلى صاحب الحق.
٢. وخصصوا باباً لبيان أحكام الوكالة : وهي استنابة جائز التصرف مثله فيما تدخله النيابة. وهي صورة من صور العمل التعاوني.
٣. وخصصوا باباً لبيان أحكام الوديعة: وهي المال المدفوع إلى من يحفظه بلا عوض
٤. وخصصوا باباً لبيان أحكام اللُّقَطَة واللقيط : وهو الطفل المنبوذ الذي يوجد ملقياً على قارعة الطريق فيتطوع مسلم بأخذه ورعايته والعناية به .

وكل فروض الكفايات في الشريعة في الأعمال البدنية هي أعمال تطوعية ذات أبعاد اجتماعية يقوم بها بعض أفراد الأمة نيابة عن مجموعها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث أن تعريف فرض الكفاية عند أهل الأصول : هو العمل الشرعي المطلوب إقامته فإذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين .

فتنافس أهل الإسلام على القيام بفرض الكفاية في المنافع المتعددة صورة من صور العمل الجماعي التطوعي مثل : العناية باللقيط، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغسيل الموتى ودفنهم والصلاة عليهم وإنقاذ الغرقى والحرقى والهدمى، وإرشاد الضال وغير ذلك .

الثواب على العمل الجمعي :

ولما كان الثواب والعقاب من أكثر مقومات التربية تأثيرا، فقد اهتمت الشريعة الغراء ببيان الثواب على الأعمال الخيرية التعاونية التطوعية، ويمكن أن نستخلص أهم تلك الحوافز في :

أولاً: وعد الله تبارك وتعالى أهل الإيمان المتطوعين بأعمال الإحسان المسارعين بجنة عرضها السموات والأرض حيث قال تعالى : {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[آل عمران: ١٣٣-١٣٤]

ثانياً: وصفهم الله تعالى من خلال النص السابق بأنهم أهل الإحسان والتقوى.

ثالثاً: وبشرهم تعالى من خلال النص السابق أن الله تعالى يحبهم "والله يحب المحسنين".

رابعاً: جاءت الشريعة الإسلامية أن كلام الناس وأحاديثهم ومحاوراتهم في مجالسهم ومنتدياتهم ومنابرهم لا خير في كثير منها إلا ما كان مداره على الحديث في نفع الناس وإصلاح ذات بينهم. فقال تعالى : "لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس".

خامساً: وعد الله من تطوع بذلك مبتغياً به وجه الله وطالباً رضاه بالأجر العظيم والعطاء الكثير الجزيل الواسع والجزاء المضاعف أضعافاً كثيرة . قال تعالى: " ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما".

سادساً: أن العمل الجماعي عبادة عظمى أساسها شكر نعم الله على عبده من صحة وعافية وحواس سليمة وبدن معافى والإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر، والشكر الحقيقي هو ما اجتمع فيه قول اللسان وعمل الجوارح بكفها عن معصية الله وبذلها في طاعته قال تعالى : {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}.

سابعاً: اعتناء النبي صلى الله عليه وسلم بالأعمال التطوعية ذات النفع العام حتى أنه عليه الصلاة والسلام أعطاها من نفسه وقلبه ولفظه وعدد منها وهو الذي أوتي جوامع الكلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفواتحه وخواتمه إحدى عشرة صوره من صور العمل التطوعي في حديث واحد ترغيباً إليها وحثاً عليها ورفعاً لشأنها وشاوها الذي ربما كان في عيون الناس حقيراً .

فقال عليه الصلاة والسلام : كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس:

١. تعدل بين الناس صدقة (العدل بين الناس).
٢. تعين الرجل على دابته فتحمله عليها صدقة.
٣. ترفع المتاع للرجل على دابته صدقة.
٤. تتكلم مع الناس بكلام طيب صدقة.
٥. إماطة الأذى عن الطريق صدقة.
٦. سلامك على عباد الله صدقة.
٧. أمرك بالمعروف صدقة.
٨. نهيك عن المنكر صدقة.
٩. تعزل حجراً عن طريق الناس صدقة.
١٠. تعزل شوكة عن طريق الناس صدقة.
١١. تعزل عظماً عن طريق الناس صدقة.
١٢. تعين ضائعاً صدقة.
١٣. تعين صانعاً صدقة .
١٤. تصنع لأخرق صدقة.

ثامناً: إعلام النبي صلى الله عليه وسلم لأمته أن هذا العمل التطوعي المندوب إليه شكراً على نعمة المفاصل في ثلاثمائة وستين صورة على عدد المفاصل ليس لمرة واحدة في العمر وإنما هو عمل يتجدد طلب فعله مع كل طلوع شمس لكل يوم. فقال صلى الله عليه وسلم "كل يوم تطلع فيه الشمس".

تاسعاً: بشارته صلى الله عليه وسلم لكل رجل من أمته تصدق عن مفاصله كل يوم بما أرشده إليه بأنه يسير حينئذ على الأرض وقد باعد نفسه عن نار جهنم وكان مهيئاً لدخول الجنة. فقال صلى الله عليه وسلم:"فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار"

عاشراً: العمل التطوعي إيمان صادق حيث عده النبي صلى الله عليه وسلم من شعب الإيمان التي أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

الحادي عشر: محبة النبي صلى الله عليه وسلم البالغة لأهل الأعمال التطوعية وعنايته بهم وتفقده لهم . كما فعل مع المرأة السوداء التي كانت تقمّ المسجد.

الثاني عشر: أن الله تعالى تفضلاً وتكرماً منه يكون معيناً لعبده المتطوع الذي يكون في عون أخيه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التربية الاجتماعية للأبناء في ضوء القرآن والسنة:

ويُقصد بها تأديب الأبناء على الالتزام بآداب الجماعة وفق الشريعة السمحة، ولكي تتحقق هذه التربية ينبغي على الأسرة بصفتها اللبنة الأساسية في المجتمع أن تعمل على تنشئة الأبناء وفق الآداب الإسلامية، والروابط الاجتماعية في الإسلام.

فكل إنسان يرتبط برابطة القرابة مع أصول نمّته، أو فروع تفرعت معه أو عنه، فإذا أحكمت هذه الرابطة؛ كانت أساساً لشبكة العلاقات التي يُبنى عليها ما سواها، ونبين فيما يأتي أول هذه الروابط:

١ - رابطة الأبوة والبنوة:

الأبوان هما سبب وجود الإنسان في هذه الحياة، فلولا الآباء ما وُجد الأبناء ولا استمرت مسيرة الحياة البشرية عبر العصور، وقد رتّب الإسلام حقوقاً للأبناء على آبائهم -كما سبق بيانه- ومن مقتضيات العدل ترتيب حقوق للآباء على أبنائهم إذا بلغ هؤلاء أشدهم، ومن هذه الحقوق:

١- معاونة الوالدين ورفع الأذى عنهما، والإنفاق عليهما، ولا سيما إذا كانا قد ضعفا وعجزا، أو مرضا وشاخا، وبدآ ينظران إليه نظرة ردّ الجميل، فهل يقابل الابن النعمة بالنعمة والإحسان بالإحسان، أم يسيء إليهما بعد إحسانهما إليه، لقوله تعالى: **{**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا**}** [الإسراء/ ٢٣].

٢- طاعة الوالدين واجتناب معصيتهما، وعليه أن يقدم طاعتهما على طاعة كل أحد من البشر ما لم يأمراه بمعصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٣- التودّد للوالدين، والتحبّب إليهما، ومن ذلك مبادأتهما بالسلام وتقبيل أيديهما ورؤوسهما، والتوسيع لهما في المجلس، والمشي أمامهما في الليل، وخلفهما في النهار،، وألا يمدّ يده إلى الطعام قبلهما.

٤- تقديم حق الأم: بتقدير برّ الأم والعطف عليها والإحسان لها على برّ الأب والعطف عليه، والإحسان إليه، وذلك لما رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أولى الناس بحُسن صحابتي؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أمك)، قال: ثم من؟ قال: (أمك)، قال: ثم من؟ قال: (أبوك)، وقال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِه شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [النساء/ ٣٦].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- البُعد عن إزعاجهما سواء إذا كانا نائمين، أو إزعاجهما بالجلبة ورفع الصوت، وأن يتجنب الشجار، وإثارة الجدل أمامهما، وذلك بالحرص على حلّ المشكلات مع الأخوة وأهل البيت بعيداً عن أعينهما.

٦- تعويد الزوجة والأولاد البرّ: وذلك بأن يكون المرء قدوة لهما، وأن يسعى قدر المستطاع لتوطيد العلاقة بين زوجته وأولاده وبين والديه.

٧- الاستئذان منهما، والاستنارة برأيهما: سواء في الذهاب مع الأصحاب للتنزّه، أو عند السفر خارج البلد، أو الذهاب لأداء فريضة الخدمة العسكرية، أو الخروج من المنزل والسكنى خارجه، فإن أذنا وإلا قصّر وترك ما يريد، خصوصاً إذا كان رأيهما له وجه أو كان صادراً عن علمٍ وإدراك.

٨- تجنّب المنّة في الخدمة أو العطية، وتجنّب أن يُظهر أي سخطٍ أو ضجرٍ ولو بعبُوس الوجه، أو تحريك المنكبين، أو إعلاء الصوت، أو بكلمة أُفّ.

٩- البرّ بهما بعد موتهما بكثرة الدعاء لهما والاستغفار عنهما، وأن يصل الرحم التي لا توصل إلا بهما، وأن يتصدق عنهما، وإنفاذ عهدهما.

٢- رابطة الإخاء:

فلا تقتصر الصلات والعلاقات داخل الأسرة على صلة الآباء بالأبناء والعكس، وإنما تمتدّ أفقياً لتشمل علاقات الأخوة بعضهم ببعض، فإذا لم تقم هذه العلاقات على أسس قويمة تمزقت وباءت الأسرة بالفشل. قال تعالى: {وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء/ ١]. وقال تعالى مُخبراً عن موسى عليه السلام: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأعراف/ ١٥١].

إن الإسلام يرتب إعالة الأيتام ورعايتهم وتربيتهم على الأخوة الكبار، حتى لا يتعرض الأطفال للضياع والتشرد، لذلك أكد أن حقوق الكبار على الصغار، كحقوق والديهم عليهم، الأمر الذي يتطلب احترامهم وتقديرهم وطاعتهم، ليتولى الكبار ما يتولاه الأبوان من حب وود وعطف ورحمة وعناية ورعاية.

٣- رابطة الرحم:

وتشمل من يعودون في جذورهم إلى رحم واحدة ويتفرعون عنها-صعوداً أو هبوطاً-من جدود وجدات وأخوة وأخوات وأعمام وعمات وأبناء هؤلاء وبناتهم....الخ فهؤلاء لهم من قرابة الرحم ما يوجب صلتهم-مادياً ومعنوياً- لتبقى القرابة عاملاً رئيسياً من عوامل التوافق الاجتماعي.

والصلة المادية واجبة إذا كان القريب فقيراً فإن صلته تكون بالمساعدة بالمال، وما يحتاج إليه من متاع الدنيا، والصلة المعنوية فإن كان القريب مظلوماً فإن صلته تكون بنصره وتأييده،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومحاولة رفع الظلم عنه. وإن كان مريضًا فصلته بالزيارة والتخفيف عنه، وتحسّن ظنه بالله، وابتغاء العلاج له ومباشرة أحواله، والعناية بأهله وأولاده الذي منعه مرضه من رعايتهم. وإن كان ضالاً فصلته تكون بمحاولة هدايته، ونصحه وإرشاده لقوله صلى الله عليه وسلم: (من سرّه أن يَبْسُط له في رزقه، وأن يُنْسأ له في أثره؛ فليصل رحمه) [رواه البخاري]. وقد حكى لنا النبي صلى الله عليه وسلم: (لما خلق الله الرّحم تعلّقت بساق العرش، فقال الله: مه "أي: ما شأنك؟" قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة .. فقال الله تبارك وتعالى: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأن أقطع من قطعك؟) [رواه البخاري].

٤ - رابطة الجوار:

ولقد اهتم القرآن الكريم واهتمت السنة النبوية بحقوق الجار اهتماماً عظيماً، فالقرآن الكريم وضع حقوق الجار مع حق الله وحق الوالدين والأرحام، قال تعالى: **{**وَاعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الجُنُبِ وَالْصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**}** [النساء/ ٣٦].

ولقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم حقوق الجار، وأفاض فيها أكثر من غيرها من الحقوق، حتى لا يعتريها تقصير، ومن حقوق الجار التي أوصى بها صلته، وكفّ الأذى عنه، وكف الاعتداء عليه، وعدم التجسس عليه، وعدم إيذائه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيرُ الأصحاب عند الله تعالى خيرُهم لصاحبه، وخيرُ الجيران عند الله تعالى خيرُهم لجاره)[١١].

لا يقتصر الجوار على الجار القريب أو الجار الملاصق، وإنما يشمل أربعين داراً، ومن حقّ الجار على جاره -من الناحية المادية- تقديم الطعَام له إن كان جائعاً، والكساء إن كان عارياً؛ لإزالة حاجته وسدّ جوعه، وإعارة المتاع أو "الماعون" له؛ لقوله تعالى: **{**وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**}** [الماعون/ ٧]، أي: الذين يمنعون عن الناس كل وسائل العون.

أما من الناحية المعنوية: فحق الجار على جاره إهداؤه أو هبته لجلب المودة والمحبة، ومنع الشرّ والأذى عنه.

٥ - رابطة السنّ:

إن رابطة السنّ تقوم على رحمة الكبير للصغير، والعطف عليه، ومساعدته، وإعانته، وينبغي إنزال الكبير منزلته اللائقة به، والبدء بالكبير في كل الأمور، كصلاة الجماعة، وينبغي على الصغير أن لا يستهزئ منه، وأن لا يسخر منه، وأن لا يسيء الأدب في حضرته، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا). وينبغي أن يعوّد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطفل منذ الصغر على احترام الكبير، وتوقيره؛ لأن الإسلام يربي في أبنائه حُسن الأدب، وحُسن السلوك.

الروابط النوعية الخاصة:

هناك فئات اجتماعية ليست بذات قرابة، وقد لا ترتبط بالمسلم بعلاقة الجوار، ولكنها في حاجة إلى أن يكون التعامل معها كريماً، تُمليه أخوّة الإسلام، كالأيتام، والأرامل، والفقراء، والمساكين، والمرضى، والمنكوبين، .. ومن إليهم. وهؤلاء يحتاجون مساندة ودعماً، ومساعدة مادية من إخوانهم الذين عافاهم الله من الابتلاء بمثل ما ابتلوا به، ومن هؤلاء:

أ- الأيتام:

اليتيم هو الذي فقد والديه، وفقد بفقدهما عنايتهما ورعايتهما وتوجيههما، وحبهما وعطفهما وحنانهما، يغدُو كسِير النفس، مفرط الحساسية تجاه الكلمة والحركة والإشارة، نظراً لشعوره بالضعف والنقص بفقدان والديه، في مجتمع ينعم فيه أمثاله بحضانة الآباء، الأمر الذي يتطلب كثيراً من حكمة التصرف إزاءه؛ بحيث لا تقهر نفسه وتحطم معنوياته، والله سبحانه يحذر من هذا في قوله تعالى: **{**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ**}** [الضحى/ ٩].

ولقد كان الإسلام سباقاً في كفالة الأيتام ليعيش اليتيم في أسرة بديلة، بين آباء وأمهات وإخوان وأخوات من المسلمين حتى يبلغ أشده، ولا يُلقى في الملاجئ معزولاً عن التعامل، والاحتكاك بالآخرين، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما"[١٢].

وكافل اليتيم: هو القائم بأموره.

ولا يتوقف توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم على مجرّد الكفالة، وإنما يتعدّاها إلى إكرام اليتيم والإحسان إليه، وتلافي كل ما يسوءه، وإسباغ وافر الرحمة عليه، فهذا اليتيم قد يصبح ذا شأن عظيم في مجتمعه، فيغمر بالرحمة والعطف والإكرام من سواه، ويمتد التراحم بين أفراد المجتمع ويصبح سجيّة من سجاياهم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "دخلت عليّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها فقسّمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا، فأخبرته، فقال: (من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كنّ له سِتراً من النار)[١٣].

ب- الأرامل:

والأرملة عادةً كسيرة النفس، ممزقة القلب والشعور، مهيضة الجناح، حيث فقدت زوجها القائم على أمورها، لا سيما إذا لم تتزوج، وبالرغم من أهمية مساندتها مادياً؛ فإن مساندتها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معنوياً تبقى الأهم، حتى لا تشعر بالصغار ويتعمق في نفسها القهر، وأي مجتمع قويم يجب أن يكون تعامله مع مثلها تعاملاً متميزاً بالاحترام والتقدير والإكرام، واعتبار كرامتها من كرامته.

إن المرأة -مهما بالغنا في قدراتها- تبقى ضعيفة، لا تستطيع مواجهة تحديات الحياة، وعوادي الزمن، ولا تستطيع كفاية نفسها، حتى وإن كانت ذات جدّة مادية، فهي تحتاج إلى من يسعى على تأمين متطلباتها، وهذا من حقها على مواطنيها وأفراد مجتمعها الأولى فالأولى.

ج- الفقراء والمساكين ومن إليهم:

لا يطلب الإنسان الفقر أو المسكنة لنفسه، فما من إنسان عاقل يودّ أن يكون فقيراً وفريسةً للجوع والعري والجهل والمرض، وإنما يحدث لبني الإنسان ابتلاء، كالعجز عن الكسب، أو التعرض لأمراض لا تمكنه من العمل، أو الإعاقة الجسدية، أو الإعاقة الفكرية، أو التعرض لأزمات طارئة تُفقده ماله، إلى غير ذلك.

د- الرفيق:

ينبغي أن تكون معاملة المسلم لصديقه معاملة حسنة خاصة، فيها الكثير من الإيثار، فمن حسن معاملة الصديق أن تخبره وتعلمه بأنك تحبه في الله محبة خالصة لله وأن تزوره لله، وأن تبدأه بالسلام، وتعوده إذا مرض، وتتفقد أحواله على وجه العموم إذا غاب عنك.

هـ- الضيْف:

إكرام الضيف سنّة فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم، فعلى المزُور أن يُكرم الضيف، وأن يبشّ في وجهه، ويقابله بفرح وسرور، وقد قال تعالى في شأن الضيف: **{**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ**}** [الذاريات/ ٢٤-٢٧].

و- العَالِم:

وهناك صنف من الناس أكرمه الله تعالى بمعرفة العُلوم الشرعية، كالفقه، والتفسير، والحديث ... ووفقه للعمل بما علم ومدحها بقوله تعالى: **{**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ**}** [الزمر/ ٩]، فينبغي معاملة العَالِم معاملة خاصة هي التوقير والاحترام، وحُسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وقد ضرب لنا الصحابة الأمثلة في احترام العلم وتوقيره، فقد كان رضوان الله عليهم يجلسون بحضرة معلم الإنسانية صلى الله عليه وسلم وكأن على رؤوسهم الطير.

ز- المريض:

وتكون بمعاملته معاملة خاصة بعيادته وزيارته، وهذا فيه أجر كثير.

ح- الخدم في الأسرة:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لخدم الأسرة في الإسلام حقوقاً ترجع إلى الأخوة الإنسانية، وحقوق العمـــال والأجـــراء، وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: "كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صـــوتاً من خلفي: (اعلم أبا مسعود)..

فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله، فإذا هو يقول:

(اعلم أبا مسعود أن الله عز وجل أقدر عليك من قدرتك على هذا الغلام)..

فقلت: يا رسول الله هو حرٌّ لوجه الله، فقال صلى الله عليه وسلم: (أما إنك لو لـــم تفعـــل للفحتك النار)[١٤].

فالخدم في البيوت يمثلون عنصراً شديد النفع لأصحابه، فينبغي أن يطعمهم ممـــا يأكـــل، وأن يكسوهم، وأن لا يكلفهم ما يغلبهم، وأن لا يضربهم ولا يهينهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com